البداية

جاء فى الإصحاح الأول فى سفر التكوين من العهد القديم (التوراة) أن اللّه خلق السموات والأرض، وفصل بين النور والظلمة فكان النهار والليل، وكان ذلك فى اليوم الأول، وتوالى الخلق، فكانت البحار والأنهار ، وعشب الأرض، والنجوم، والكائنات الحية من دواب وطير وأسماك . وتوالت أيام الخلق حتى كان اليوم السادس خلق الرب الإنسان، ثم جاء اليوم السابع فكما جاء فى الإصحاح الثانى :

« فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً» وسمى هذا اليوم بالسبت، لذا حرمت الديانة اليهودية على اليهود القيام بأى عمل فى هذا اليوم.

خلق الله آدم من تراب، وغرس الرب آدم فى جنة عدن، وأنبت الرب من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل ، وشجرة الحياة فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر. ثم كان أول أمر يتلقاه آدم، الإنسان الأول :« وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها» ، وأطاع آدم الإله حتى جاءت لحظة تغير المسار "Turning Point " عندما رأى الرب أن آدم يعيش وحيداً: «فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام ، فأخذ واحداً من أضلاعه وملأ مكانها لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم»، وعاش آدم وحواء فى جنة عدن عرايا وهما لا يخجلان.

كان التغير الثانى للمسار عندما أغوت الحية (أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله) حواء لتأكل من شجرة المعرفة :« فقالت للمرأة: أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحية ، من ثمر شجر الجنة تأكل ، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية

للمرأة : لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزراً».

وكعادة الإنسان حاول آدم أن يسقط الخطيئة عنه وينسبها إلى الآخر، متحججاً بأنه لم يكن له قرار فى خلق حواء، فقال للرب: «المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت». عاقب الرب الحية والمرأة وقال لآدم :«لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها، لأنك تراب وإلى التراب تعود».

كانت أول خطيئة للإنسان من حواء عندما خالفت أوامر الرب، وكان أول صراع داخل حواء بين إغواء الحية وأوامر الرب، وتمثل الصراع الثانى فى إغواء حواء لآدم، فكان الصراع الثانى داخل آدم الذى عصا ربه وانقاد للغواية ، فطردا من الجنة وتوالت الخطايا وانتشر الشر، وكان الصراع : الداخلى والخارجى، بين شهوات الإنسان وضميره ، وبين إنسان وآخر، وبين الإنسان وباقى المخلوقات ، وبين الإنسان والطبيعة.

ولدت حواء قابيل (قايين فى التوراة) ثم ولدت هابيل. كان هابيل يعمل فى رعى الغنم. . أما قابيل فكان يعمل فى فلاحة الأرض. وفى يوم مشئوم حدثت أول جريمة قتل للبشرية - وفقاً للعقائد - فقد قدم قابيل بعض من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً للرب أحسن ما عنده من أبكار غنمه ، تقبل الرب قربان هابيل، أما قابيل وقربانه لم ينظر، اغتاظ قابيل وبدأ الصراع الداخلى من حقد على أخيه ، لقد قتل قابيل ربع سكان كوكب الأرض، بقتله أخاه. نعم لقد عانى قابيل من وخز ضميره ، لكن بعد أن وقعت الجريمة، لقد كانت جريمة امتزجت فيها غرائز الإنسان الشريرة من حقد وكراهية ، مع علاقة الإنسان بربه.

لقد استُخدمت لأول مرة القوة العضلية للإنسان فى القتل. وكانت أول معركة يدخلها الإنسان لتبدأ سلسلة من العنف والقتل والتدمير . لقد تحولت القوة العضلية إلى قوة عسكرية وقوى تدمير شامل فتكت بالملايين من البشر، وتحولت شجرة المعرفة إلى قوة المعرفة والمعلومات تحلى بها البشر دون أن يتبينوا الخير من الشر، وتحول رعى الغنم والفلاحة إلى قوى اقتصاد وتجارة ومال تؤدى إلى السيطرة والاستعباد . مرت الأيام فازدادت القوى ونمت وتنوعت فى نظام بشرى تحركه منظومة القوى.

مقدمـة

القوة فى حد ذاتها لا تعنى شيئاً ، لا فزيائياً ، ولا فلسفياً ، إذا كان لدينا مغناطيساً له قوة جذب، فإذا لم توضع قطعة حديد فى المجال للمغناطيس للحديد مما يؤدى إلى جذب المغناطيس للحديد فقوة الجذب للمغناطيس ليس لها معنى فعلى حيث أنها لم تؤدِ إلى : فعل/ حركة/ تغيير. القوة الحربية كقوة مادية يمكن أن تدمر وتغير من أوضاع قائمة، ولكن لا يحسب لها أنها أدت عملاً إذا لم تستخدم. إلا فى حالة الخداع حيث يمكن ردء عدوان وتخويف العدو بإشاعة إمكانياتنا الحربية، ففى هذه الحالة نكون قد منعنا عمل بدون استخدام القوة. المال ليس له قيمة إلا إذا تحول إلى أصل عينى أو إذا استعمل فى الخداع كما سبق شرحه فى القوة العسكرية. إن مجرد معرفة بعض رجال الأعمال أو حتى الأفراد العاديين أن شخصاً ما يملك قوة المال، فإن ذلك قد يؤدى إلى إمكانية حصول هذا الشخص على مكسب مادى بدون أن يعمل المال الذى لديه ، فى هذه الحالة تكون قوة المال قد أدت عملاً إيجابياً دون أن تتحرك هذه القوة أو يتغير وضعها.

فى علم الفيزياء ، تعرف الطاقة بأنها الشغل المبذول للقوة فى وقت معين، فعملية فعل القوة هى عملية بذل طاقة أو تغير فى وضع أو كمية الطاقة. ان الطاقة هى كميات من القوة يمكن أن تستنفذ أو يضاف إليها، كما يمكن تحويلها من صورة إلى صورة أخرى من أشكال الطاقة، الطاقة النفسية للفرد هى قدرة أو إمكانية الفرد لتحمل الضغوط النفسية فى وقت معين وبقدر معين، فإذا كانت طاقة الفرد النفسية كبيرة أمكن للفرد تحمل الضغوط النفسية الواقعة عليه فى وقت معين، أو تحمل الضغوط العادية فى وقت أطول. فالطاقة النفسية هى مجموع الضغوط النفسية بشدة معينة على مدى زمن معين، وعليه فإن شدة الضغوط تماثل القوة فيزيائياً.

عندما عاش الإنسان الأول منفرداً ، يشبع احتياجاته الأولية من قوة عضلاته فى صيد الحيوانات أو قطف الثمار والفواكه ، لم يكن يعرف معنى التملك أو الطغيان. كان أسلوب حياته نموذجاً للشيوعية ، فكل شىء فى الغابة أو فى الصحراء أو فى

الماء مشاع ومتاح للجميع . كان اكتشاف الزراعة هو بداية استقرار إنسان الصيد، وبداية المدنية بشكلها الأولى، ومنها مارس الإنسان غريزة التملك من خلال أصول ثابتة وهى الأرض. إن نشأة الزراعة وحدوث التفاوت بين الأفراد أدى إلى استخدام الضعفاء بواسطة الأقوياء ليقوموا بفلاحة الأرض التى لم يستطع الإنسان القوى وحده أو مع أسرته القيام بها. لقد تنبه العقل البشرى للإنسان القوى إلى أنه بدلاً من قتل غريمة ففى الإمكان استعماله ليقوم بعمل الماشية، أو استخدامه فى الخدمة داخل المنزل، ومن ذلك الحين أصبح الرق - بأشكاله المختلفة - جزءاً من النظام الإنسانى. ساعد الرق بعد ذلك فى قيام الإنسان بالصناعة وزيادة إنتاجه. سيطرت شهوة التملك وحب المال على العديد من البشر، واتحد الأقوياء ليزدادوا قوة ، وانفرط عقد الضعفاء لينحدروا ضعفاً واتسع البون بين طبقتى الأقوياء والضعفاء، ومن حين لآخر يثور الضعيف من جراء قوى الطغيان التى تسبب الكبت والإحباط ، فيقوم الصراع وتنشب الحروب.

إن المنظومة الكونية هى مجموعة قوى / طاقة ، وإدارة هذه القوى / الطاقة بواسطة العقل من خلال جزء مادى وهو المخ، هذا ما يعلمه البشر حتى الآن . القوة/ الطاقة تؤدى إلى الحركة، والحركة تؤدى إلى التغير، أي تؤدى إلى المعنى الفلسفى للزمن، فالزمن يعنى التغير، والسكون التام وعدم الحركة حتى فى حركة الإليكترونات داخل الذرات وعدم انتشار الإشعاعات يعنى عدم وجود الزمن. يظهر العقل غير المادى لإدارة هذه القوى للحصول على تغيير ما يبغيه العقل. قد يكون التغيير الذى يرمى إليه العقل فى صالح الفرد أو فى غير صالحه فالإنسان - مهما بلغ من المعرفة - لا يعلم هل الهدف الذى يسعى إليه سيعود عليه فى النهاية بالفائدة أو بالضرر . إنها رسالة من الخالق سبحانه وتعالى للبشر: نعم أعطيت لكم عقلاً تعملون به وتديرون به حياتكم ولكن أنتم البشر لا تعلمون كل شىء، ولا تعرفون ما سيجىء به المستقبل / القدر / الزمن ، قد تتنبئون بما (قد) يحدث فى المستقبل بشيء من تحليل البيانات التى لديكم، وبشىء من المنطق والتفكير، ولكن ما يسميه البعض قدر، والبعض الآخر صدفه، والبعض الآخر إرادة اللّه ومشيئته قد تتماشى مع

تحليلكم واستنتاجاتكم أو قد تخيب ظنكم. إن الإنسان ما دام شيء مخلوق فلن يصل أبداً إلى قدرة الخالق عز وجل، مالك القوة المطلقة.

عرف الكاتب الأمريكى صامويل هنتجتون فى كتاب «صدام الحضارات» معنى القوة من المنظور الفردى والسياسى بأنه : «القوة هى قدرة فرد أو جماعة ما على تغيير سلوك فرد أو جماعة أخرى ، والسلوك يمكن أن يتغير عن طريق الإقناع أو القسر أو النصح، والذى يتطلب بدوره أن يكون لدى مستخدم القوة مصادر اقتصادية وعسكرية ومؤسسية وديموغرافية وتكنولوچية واجتماعية أو غيرها. قوة الجماعة أو الدولة هكذا تقدر عادة بحساب المصادر الموجودة تحت تصرفها ، فى مقابل ذلك التى فى يد الدول أو الجماعات التى تريد أن تمارس نفوذاً عليها» . يحاجى بعض المفكرين فى أن كل عصر من عصور التاريخ عادة ما تتولى دولة واحدة الهيمنة على النظام العالمى باعتبارها الحائزة على أكبر قدر من القوى، وعادة ما تتحالف معها دول المرتبة الثانية، بينما تستسلم الدول الضعيفة لقدرها. فى الحضارات القديمة وفى منطقة الشرق الأوسط ، سادت الدولة الفرعونية القديمة فى عصر الأسرة الثامنة عشر بقيادة تحتمس الثالث أعظم فاتح وقائد فى تاريخ مصر ، وكذلك فى عصر الأسرة التاسعة عشر خاصة فى عهد رمسيس الثانى. تولت الحضارات السومرية والبابلية والآشورية قيادة العالم فى عصر ضعفت فيها القيادة المصرية القديمة. ظهرت بعد ذلك الدولة الأغريقية بقيادة الأسكندر الأكبر، ثم الإمبراطورية الرومانية التى امتد حكمها وسيطرتها على معظم أنحاء أوروبا ودول كثيرة من الشرق الأوسط. تولت الحكومة الإسلامية قيادة العالم فى العصور الوسطى، وانتهى دورها كدولة قائدة، ثم انتقلت الحضارة إلى الغرب. وسادت الإمبراطورية البريطانية فى القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، ثم الإمبراطورية الأمريكية فى القرن العشرين وحتى الآن.

إن عدم المساواة فى توزيع القوى بين المسيطر، وأول من المتحديين له بالإضافة إلى تأييد حلفاء المسيطر هو الذى يصون السلام، على الأقل لمدد أطول. التحليل السابق ينطبق أيضاً على الأفراد، فصاحب السلطة، والمالك لمقومات القوة عادة ما يجذب إليه أعوان لديهم قوة أقل، يشدون من أزره ، طمعاً وخوفاً، وعليه تكون

النتيجة الطبيعية هى تحويل صاحب السلطة / المركز/ مالك القوة، إلى ديكتاتور وطاغية. الضعف والخوف يؤديان إلى استسلام الخائف / الضعيف، وطغيان القوى، والثورة تؤدى إلى إعادة توزيع الأدوار ، لتستمر خصائص المنظومة البشرية كما هى من تقلبات وتغييرات، حتى وإن كان الاتجاه العام نحو التقدم والرقى.